ندوة الرباط الوطنية
الآخر في الكتابة التاريخية المغربية

د. عبد السلام انويكًة
أستاذ التعليم العالي
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين – فاس
مكناس – المملكة المغربية

مُلَخّص

تناولت ندوة الرباط الوطنية، المنعقدة بجامعة محمد الخامس في ديسمبر ٢٠٢٤ ، إشكالية "الآخر في الكتابة التاريخية المغربية" من خلال أربع محاور غنية ومتداخلة، أدارها باحثون مغاربة مرموقون من مختلف الجامعات. جاءت الندوة بتنظيم من مختبر "التاريخ والمجال والمجتمع"، وسعت إلى مساءلة تمثلات الآخر في الكتابات التاريخية المغربية من زوايا عربية وعثمانية، وأوروبية، وإفريقية، وأمريكية. ناقش المحور الأول صورة الآخر العثماني والعربي، مركّزًا على كتابة تاريخ العلاقات المغربية العثمانية ومآلاتها الأرشيفية والمقارنة، وما أظهرته من تشابهات بنيوية بين الدولتين في التنظيم والمؤسسات، إضافة إلى تحوّل صورة الآخر اليهودي من التهميش إلى التسامح في الذاكرة المغربية. بينما استعرض المحور الثاني الحضور الإفريقي جنوب الصحراء في الوعي التاريخي المغربي، وأثر هذا الامتداد في تشكيل الهوية المغربية، سواء عبر التجارة أو التصوف أو التبادل الثقافي، مع استحضار أدب الرحلة كنص مؤسس لصورة الآخر الإفريقي. المحور الثالث ناقش الآخر الأوروبي من زوايا متعدّدة: مناهج التعليم، أدب الرحلات، الصورة في الكتاب المدرسي، وتمثلات الآخر المسيحي، مع التركيز على النموذجين الإسباني والبرتغالي في الذاكرة المغربية، في حين استعرض المحور الرابع الكتابة التاريخية حول المجال الأمريكي، من زاوية الأرشيف والدبلوماسية والتأثير الثقافي، بما في ذلك حضور المجندين المغاربة في الحرب الأهلية الإسبانية، ومكانة المغرب في السياسات الثقافية الأمريكية. خلصت الندوة إلى توصيات مهمّة، أبرزها ضرورة تثمين الدراسات العلائقية، وتوسيع البحث في الأرشيف الوطني والأجنبي، وتفعيل الحوار الأكاديمي حول الآخر، وطبع أعمال الندوة لإتاحتها للباحثين.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٠٤ يناير ٢٠٢٥
تـاريخ قبـول النشـر: ١٠ فبراير ٢٠٢٥

كلمات مفتاحية:

الدولة العثمانية؛ اليهود المغاربة؛ المجتمع المغربي؛ الكتابات التاريخية؛ الحرب العالمية

معرّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2025.447423

بيانات الندوة:

مختبر التاريخ والمجال والمجتمع التابع للمعهد الجامعي للدراسات الإفريقية والأورومتوسطية والأيبيروأمريكية
ندوة وطنية "الآخر في الكتابة التاريخية المغربية" انعقدت يومي ٢٥ - ٢٦ دجنبر ٢٠٢٤ جامعة محمد الخامس - الرباط المغرب.

مُقدّمة

تكتسي دراسة تاريخ المقاومة المغربية للاحتلال الأجنبي عامة، والمقاومة الريفية بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي خاصة، اهمية بيداغوجية وعلمية، ذلك أنها كانت عنوانًا لهزيمة إسبانيا العسكرية وإعلانًا لفشل مشروعها الاستعماري. وتأتي هذه الندوة تزامنًا مع الذكرى السبعين لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وإحياء الذكرى التي ظلت منسية بشكل مقصود أو غير مقصود، وكذا لرد الاعتبارات للمقاومة المغربية بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي يعتبر رمزًا وطنيًا لكل المغاربة، بل لكل حركات التحرر في العالم، لأن ثورته كانت درسًا لكثير من السياسيين والثوار وعلى رأسهم "ماو تسي تونغ"، و"تشي غيفارا" وغيرهما.

جاءت هذه الندوة ضمن جملة مواعيد علمية وطنية ودولية حول العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد الخامس بالرباط، وكان التاريخ والبحث التاريخي أكثر حضورًا، غير أن هذه الندوة هي بنوع من التميز عن سابقاتها، لكونها استهدفت تسليط الضوء على إشكالية غي مسبوقة من حيث مقاربتها عبر زوايا متعددة، وقد تعلق الأمر بـ "الآخر في الكتابة التاريخية المغربية"، عن المجال العربي والتركي، المجال الأوربي، المجال الافريقي ثم المجال الأمريكي. هكذا بمبادرة وتنظيم من مختبر التاريخ والمجال والمجتمع التابع للمعهد الجامعي للدراسات الافريقية والارو متوسطية والابيروأمريكية، انعقدت يومي ٢٥ - ٢٦ دجنبر٢٠٢٤ بجامعة محمد الخامس بالرباط/ المغرب، ندوة وطنية توزعت على مساحة أعمال علمية حول أحداث ونصوص، وقضايا، وأمكنة، وأزمنة. بقدر ما توجهت بعنايتها لسؤال "الأخر في الكتابة التاريخية المغربية"، بقدر ما اجتمع من اجل هذا السؤال باحثون أكاديميون جامعيون، استحضروا ما هناك من منتج وجدل، وسياقات، وتقاطعات، ونماذج. مع أهمية الاشارة لِما تأسست عليه هذه الندوة من ورقة علمية تأطيرية، من جملة نقاطها ما جاء عند بول ريكور Paul Ricoeur حول الهُوية باعتبارها ثمرة تفاعل بين الأنا والغير، وهو ما جاء أيضًا عند كلود ليفي ستروس Clause Lévi-Strauss ، حول كون الهُويات الثقافية هي نتاج احتكاك مستمر بثقافات أخرى. وفي علاقة بهوية المغرب اشارت ورقة الندوة لِما هناك من ارتباط بالغير في تشَكلها عبر التاريخ، وكذا ما سمح به موقعه من تأثير وتأثر بشرق وجنوب وشمال وحتى غرب. وأن ما حصل من علاقات وتفاعل مع الآخر، مهم حضوره في الدرس الأكاديمي الجامعي من اجل ما ينبغي لفائدة حاضر البلاد وتطلعاتها، على وقع زمن اتصال وتكنولوجيا وتدفق رقمي وتفاعل ثقافي وسياسي واقتصادي، في عالم بات أشبه بقرية صغيرة.

أهداف الندوة

جاءت ندوة "الآخر في الكتابة التاريخية المغربية" بمحاور أربعة وبنوع من التكامل، مستهدفة بلوغ ما هو منشود من أهداف فضلاً عن أجوبة شافية لجملة إشكالات، مع ابراز ما هناك تقاطع بحثي تاريخي حول الموضوع، وكذا مادة علمية وارصدة أرشيف وطني وأجنبي رافع لكل مشروع كتابة، من شأنها تحقيق ما ينبغي من إغناء واضافة لفائدة وعاء خزانة المغرب البحثية التاريخية الجامعية، وتحفيز انفتاح الدارسين على ما هو علائقي بين الدول والمجتمعات، حيث الأنا والآخر وحيث تطلعات الحاضر والمستقبل.

المحور الأول: الدراسات التاريخية حول المجال العربي والمجال العثماني التركي

تناول فيه **الأستاذ محمد حاتمي** عن جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، **قضية الآخر من خلال اليهود المغاربة وهويتهم**، مشيرًا لِما أسس لخصوصياتهم من احالات وذكرة جماعية تعلق بأصول. مضيفًا ما تباين بين الأجيال من انشغال بتأصيل تاريخ المغرب، وما حصل تيار بحث تاريخي من اجل الهوية المغربية، ذلك الذي كان بتراكم لاحقًا أغنى ما هناك من روح تسامح وقبول بالاختلاف. أما **الأستاذ عبد الرحيم بنحادة** عن جامعة محمد الخامس بالرباط، فقد تناول في مداخلته **تجربة كتابة تاريخ الآخر من خلال المجالات العثمانية التركية**، مشيرًا لما هناك من بداية رحلة بحث عن وثائق عثمانية لكتابة تاريخ العلاقات المغربية العثمانية. متحدثًا عن أربع لحظات، الأولى منها تعلقت بكيفية اهتمام المغارب بتاريخ الآخر وما سجل من ندرة معلومة، معرجًا على اشارات ابن خلدون والمؤرخ أبو القاسم الزياني وما خصصوه في نصوصهم للحديث عن العثمانيين. فضلاً عما حصل خلال فترة الحماية الفرنسية على المغرب خلال القرن الماضي، عندما جيشت فرنسا الكتابة عن الدولة العثمانية لابراز اغتصابها للخلافة. أما اللحظة الثانية فتخص التاريخ العثماني من خلال كتابة تاريخ العلاقات المغربية العثمانية، لافتًا الى أن الباحثين المغاربة الذين اهتموا بتاريخ هذه العلاقات لم يقنعهم اعتماد وثائق الأرشيف الاسباني والفرنسي والانجليزي ومعه النصوص الأدبية المغربية، وعليه توجهوا لاكتشاف هذه العلاقات انطلاقًا من الأرشيف العثماني، والذي من جملة صعاب ما طرح من أجل استعماله كونه انعكاس لسير مؤسسات في دولة بيروقراطية. أما اللحظة الثالثة فهي التي انفتحت على التاريخ العثماني من خلال الوقوف على

تشابهات وتقاطعات تاريخية بين المجال المغربي والعثماني، بحيث جرى التوجه نحو عقد مقارنات من حيث ما هو عسكري (تجربة الإنكشارية وعبيد البخارى)، وما هو اصلاح وتنظيمات وبعثات سفارية وطلابية لأوروبا، ثم ما هناك من تجربة دستورية في البلدين. وأما اللحظة الرابعة والأخيرة، فقد ارتبطت بالتأمل في الاستوغرافيا التركية الحديثة من حيث مأسسة التاريخ ومسألة الأرشيف، وما يمكن أن يستفاد من التجربة التركية لتجاوز هفوات مرتبطة ببناء السردية الوطنية المغربية.

وعن **الآخر ومن خلاله تاريخ الدولة العثمانية بعيون مغربية بين العلائقي والمقارباتي**، توجهت مداخلة **الأستاذ عبد الحي الخيلي** عن جامعة محمد الخامس بالرباط، بحديثها عما طبع الكتابة التاريخية المغربية حول العالم العثماني من انتظام عبر مراحل، ارتكزت الأولى منها على ما هو علائقي اقتضاه انفتاح بحث المغرب التاريخي وموضوعية قراءة العلاقات البينية، لتجاوز ما هو كولونيالي من نظرة فضلاً عن بحث متقوقع على الذات في علاقة المغرب بالآخر. وبقدر ما انبنت أبحاث هذه المرحلة على أرشيف عثماني، وقاربت جملة قضايا من قبيل العلاقات السعدية العثمانية وباشوية الجزائر والمغرب، ثم المغرب والباب العالي والشريف والبادشاه. بقدر ما نجحت في تجاوز صورة نمطية لعلاقات المغرب بالآخر العثماني، وفي ربط البلاد ببعدها المغاربي والمتوسطي والاسلامي. ويسجل أنه مقابل ما ميز المرحلة الثانية من تعدد مقاربات بحث حول هذه العلاقات، اتسمت الكتابة التاريخية في المرحلة الثالثة بتطور وتخصص في ملامستها لقضايا مجهرية، من قبيل الهوية والتحديث والقبيلة والحركة الدينية والاسلامية والجاليات التركية بالمغرب وغيرها.

المحور الثاني: الدراسات التاريخية حول إفريقيا جنوب الصحراء

كان مساحة نقاش لجملة قضايا واشكالات منها ما تعرض له **الأستاذ خالد شكراوي** عن جامعة محمد السادس متعددة التخصصات التقنية، متفاعلاً مع **قضية الكتابات التاريخية حول افريقيا بالمغرب بين الذات والهُوية والأنا**. مشير لِما تحتله الأسطوغرافيا المغربية حول القارة الإفريقية من موقع خاص بالمجال المغاربي، ولِما هناك من تباين في التوجهات ودرجة الاهتمام مع دول ما يسمى بالشرق الأوسط الكبير وبخاصة منه الجانب الافريقي. لافتا الى أنه باستثناء الانتاج المصري بقيت الدول الأخرى منغلقة في مجالها الوطني، مع اهتمام بمجال المتوسط والعلاقة بأوروبا. مضيفًا أن البحث في المجال لم يرق إلى انتاج مدارس متخصصة، وأنه مع نهاية ثمانينيات القرن الماضي تجددت العناية بالمغرب الافريقي، وعليه ما حصل من دعوة لأعمال بحث حول التراث والتاريخ المشترك عبر كلية الآداب بالرباط ثم معهد الدراسات الافريقية سابقا. وهو ما كان وراء انبعاث وكشف عن جوانب سبق لها الاهتمام بالقارة من مواقع خاصة أو لأسباب موضوعية ارتبطت بتوجهات علمية وربما إيديولوجية، ببعض الجامعات الأجنبية التي احتضنت الباحثين المغاربة. وهو ما شكل عماد ما شهدته ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي وما تلاها، من إعادة استقصاء لمصادر ونصوص للبحث في تاريخ العلاقات بين ضفتي الصحراء، مع بروز توجهات باشرت البحث بعيدًا عن منطق شمال جنوب.

وضمن نفس المحور عن جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، قاربت **الأستاذة بهيجة الشادلي** في مداخلتها م [illegible]**ألة الدراسات التاريخية حول افريقيا جنوب الصحراء مع جوانب من تأثيرات هذا المجال في المجتمع المغربي**. لافتة لِما حصل من اهتمام بحثي مغربي منذ ثمانينات القرن الماضي حول العلاقات المغربية الافريقية في مستواها الروحي والسياسي والاقتصادي، مستحضرة ما كان من طرق تجارية جامعة على مر العصور بين المغرب ومختلف الأقطار الافريقية، وما كان عبر هذه السبل من تأثير على المجتمع المغربي. وبقدر ما توزعت مداخلتها على ما هو مصادر محلية، بقدر ما تقاسمها حديث عن إفريقيا جنوب الصحراء في الكتابات المغربية من خلال مجالات تفاعل، فضلاً عن نماذج من تأثير إفريقيا جنوب الصحراء في المجتمع المغربي من خلال بعض المصادر. وعن جامعة محمد الخامس بالرباط، استهدفت مداخلة **الأستاذ أحمد شوكري** الاجابة عن **صورة المغرب في الكتابات التكرورية الى غاية مطلع القرن التاسع عشر**. مشيرًا الى لِما اعتادته صورة المغرب عبر العصور على مرايا متوسطية أو مشرقية، وأنه قلما التفتت للجنوب لرؤية نفسها من خلال مرايا منطقة الصحراء والساحل. لافتا لِما يطبع الهوية المغربية من أثر جغرافي وحضاري في بعده الافريقي، مؤكدًا أهمية ترسيخ هذا الحضور في الثقافة العالمة عن العصر الوسيط والحديث. معرجًا على ما تطرحه القضية من إشكال، أمام كل عمل بحثي يروم استكشاف صورة المغرب في الكتابات التاريخية التكرورية. وكانت ازدواجية الصورة في الوصف الرحلي لبلاد السودان: الأنا والآخر، هو ما ناقشته **الأستاذة زليخة بنرمضان** عن جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء. وذلك من خلال حديثها عن **رحلة ابن بطوطة ١٣٠٤-١٣٧٧م**، التي اعتبرتها احدى المصادر التي انتشلت تاريخ السودان الغربي خلال القرن الرابع عشر الميلادي، من سمة الحكي كإحدى السمات المهيمنة الى التاريخ المدوّن. لافتة الى أن

رحلة ابن بطوطة جاءت في سياق تاريخي هام، تمثّل فيما شهدته الضفة الشماليّة للصحراء الكبرى من تحوّلات جيو- سياسيّة وبشريّة واقتصاديّة خلال الفترة المذكورة، مقابل ما كانت عليه امبراطورية مالي جنوب الضفة الصحراويّة من استقرار وسلم وازدهار. مشيرة لِما تفردت به هذه الرحلة كتجربة سفريّة لحظيّة عن الجنس الأدبي الرحلي، من خلال عنصرين أساسيّين الأوّل منها هو المتمثل في الجغرافيا بكل بعدها الطبيعيّ والبشري، وأما الثاني فهو الذات بكل مكوناتها النفسيّة والثقافيّة.

المحور الثالث: الدراسات التاريخية والمجال الأوروبي

توجهت فيه مداخلة **الأستاذ عبد الكريم مدون** عن جامعة ابن زهر بأكادير، لكيفية **رؤية الآخر للنص المقدس في الإسلام**، مستهدفة تتبع ما كتب عن هذا النص لدى الغرب من خلال كتابين صدرا على التوالي في ٢٠١٩ و٢٠٢٢، ويتعلق الأمر بقرآن المؤرخين وتاريخ القرآن، وهو ما تم التطرق اليه عبر مداخل ثلاثة: أولاً، الغرب والإسلام. ثانيًا، الدين والنص المقدس. ثالثًا، قراءة في تاريخ المؤرخين والقرآن. وعن جامعة محمد الخامس بالرباط، من خلال مداخلة بعنوان **"صورة المـ ـيحي من خلال رسائل الحاج محمد بن عبد الجليل إلى الراهب كليمان إتيان** Clément Etienne ١٩٢٥-١٩٢٨". تحدث **الأستاذ جامع بيضا** عن كتاب صدر عن مؤسسة أرشيف المغرب سنة ٢٠٢٢ للباحث مرغيش، وهو عبارة عن مصنف لمراسلات متبادلة بين شاب مغربي هو الحاج محمد بن عبد الجليل وراهب فرنسي هو كليمان إتيان، الذي كان حينئذ مديرًا لثانوية شارل دو فوكو بمدينة الرباط. مشيرًا الى أن هذه المراسلات التي بحوالي ١٢٠ وثيقة، تغطي الفترة ما بين ١٩٢٥ و١٩٢٨، أي منذ وصول الطالب ابن عبد الجليل إلى فرنسا بتكليف من المدرسة التي ينتمي إليها، إلى تاريخ الإعلان عن اعتناقه الديانة المسيحية. مشيرًا الى أن هذه المراسلات بين التاريخين تعكس تطورًا في تصور الشاب المسلم المغربي للآخر المسيحي. ومن زاوية أخرى ضمن سياق آخر، تعرض **الأستاذ البشير تامر** عن جامعة محمد الخامس بالرباط، في مداخلة له، **"الأنا والآخر من خلال تدريس الظاهرة الاستعمارية"**، معتبرًا هذه الأخيرة من المواضيع التي تتم دراستها من زاوية الأنا والآخر. وأنها تندرج ضمن ما يسمى "بالتاريخ الساخن" المغذي للحس الوطني والذاكرة الجماعية. مستهدفًا مقاربة هذه الاشكالية وفق منهج مقارن، يحلل خطاب المناهج الدراسية وأدوات تدريس تاريخ الظاهرة.

وكانت صورة أوروبا في كتب التاريخ المدرسية المغربية، هو ما ناقشه **الأستاذ مصطفى حـ ـني الادريسي** عن جامعة محمد الخامس بالرباط، من خلال الايجابي والسلبي من السمات التي تلتصق بصورة أوروبا في خطاب المغرب المدرسي التاريخي، مشيرًا الى أن الصورة التي تنبثق من تاريخ أوروبا في هذه الكتب المدرسية متناقضة، تظهر أوروبا نموذجًا مقبولاً في سياقات وغير مقبول في سياقات أخرى. ذلك أنه عندما يتعلق الأمر بتاريخ أوروبا المدرَّس غالبًا ما تكون الصورة ايجابية. بل فرصة لتسليط الضوء على مساهمات الحضارتين اليونانية والرومانية، وحضارة عصر النهضة والأنوار ثم التصنيع والتحديث. ذلك أن الكتب المدرسية هنا تحمل خطابًا مؤيدًا للحداثة والديمقراطية، وأن تاريخ أوروبا هو المدعو لإبراز هذه القيم. بالمقابل حول علاقات أوروبا بـ"الآخر"، فالصورة مختلفة إذ تكون في بعض الأحيان سلبيّة جدًا. بحيث الدروس التي تتناول توسع أوروبا في العالم، سواء المتعلقة بالتاريخ القديم (الرومان، الوندال..) أو العصور الوسطى (الحروب الصليبية)، أو بالتاريخ الحديث ("الاكتشافات الجغرافية")، أو المعاصر (التدخلات الأوروبية في الإمبراطورية العثمانية أو في غرب أفريقيا في القرن ١٩ و٢٠ م). تقدم أوروبا كمسؤولة عن تبديد الثروات وإبطاء تطور المجتمعات، بل أحيانًا عن إبادتها، مشيرًا لِما أضحت عليه الصورة من خجل في الكتب المدرسية الحالية، مقارنة مع التي لدى الجيلين الأول والثاني. أما **الأستاذة فتيحة المـ ـعودي** فقد توجهت مداخلتها لِما هو **رؤى مغربية حول حداثة أوروبا من خلال الرحلات الـ ـفارية المغربية**، متوقفة على نماذج منها منذ القرن الثامن عشر حتى مطلع الماضي، باعتبارها وعاء أدبيًا رسم صورًا عن الآخر الأوروبي وعالمه المغايِر، وقد اهتمت هذه الرحلات بجميع مناحي حياة الأوروبيين بعيون وتمثلات رحالة مغربي ومرجعيته الدينية والمعرفية. هكذا استهدفت هذه المداخلة اشكالية حِفظ الهُوية المغربية وتتبع أشكال الوعي الثقافي الذي حمله الرحالة المغاربة أثناء رحلاتهم، وكذا إدراكِ ما اتخذ من مواقفِ تجاه الأوروبي وثقافته، وبالتالي رصد ما انطبع في ذاكرتهم من صورة بين مشاهدة وإدراك، وكذا درجة وعي بالذات وتفوق للأوروبي انطلاقًا من مقارناتهم بين ما هو سائد بين البلد المضيف وبلدهم.

وحول المغرب والآخر البرتغالي، عن جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، ناقش **الأستاذ عثمان المنصوي توجهات الكتابات التاريخية المرتبطة بالمغرب**، مستحضرًا حدث معركة وادي المخازن. مشيرا لِما يجمع المغرب بالبرتغال من محطات كانت مساحة دراسات مؤرخين برتغاليين معتمدين فيها على أرصدة أرشيف هام، ولِما انصب عليه اهتمام هؤلاء من مجالات جمعت بين الوجود المغربي وآثاره بالأندلس خاصةً منطقة الغرب البرتغالية، إلى جانب عن التوسع البرتغالي خلال القرن الخامس

عشر والسادس عشر، والذي كانت سبتة نقطة انطلاقه، وقد امتد ليشمل أكثر ثغور البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، فضلاً عن معركة وادي المخازن ومعها الملك سباستيان، ما تم التركيز عليه وخاصةً منه مصير هذا الأخير ومن خلاله السباستيانية بعد نكسة المعركة. وعن المغرب وإسبانيا قارب **الأستاذ بوبكر بوهادي** عن جامعة شعيب الدكالي بمدينة الجديدة، ما هناك من تفرد علاقة جامعة بين البلدين لافتا لِما هناك من معطى جغرافي ومن ثمة حتمية جوار وتعايش، ذلك الذي اغنته أحداث وتجارب عبر العصور كانت بأثر في بناء ما هو هوياتي لهما، فضلاً عن الصورة التي يقارب بها كل واحد منهما الآخر. وقد كانت الفترة الاستعمارية بدور في بلورة أهم معالم هذه الهوية ومن ثمة ما هناك من علاقة، وهو ما تقوم عليه جملة تطلعات راهنة آخذة في الاعتبار ما هناك من مشترك ذاكرة وموقع. وحول **صورة اسبانيا أيضًا في الكتابات التاريخية المغربية**، تناول **الأستاذ ميمون أزيزا** عن جامعة مولاي إسماعيل بمكناس، ما هناك من تجليات تعقيد في علاقات البلدين على امتداد قرون، تلك التي بقدر ما اتسمت به من تعاون وتعايش بقدر ما طبعها من صراع واحتلال. مشيرًا الى أن الكتابات التي تهم الفترة الاسلامية في الأندلس (٧١١-١٤٩٢م)، غالبًا ما تصور الاسبان كمنافسين عسكريين ودينيين، وأن التي توجهت بالعناية منها لسقوط الأندلس وحملات الاسترداد، تُصور هؤلاء كقوة غازية محتلة قامت بطرد المسلمين واليهود من إسبانيا، وهو الحدث الذي كان بأثر كبير في ذاكرة المغرب الجماعية. أما الكتابات المغربية حول أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن الماضي وكذا التوسع الاستعماري الاسباني بالمغرب (الريف والصحراء)، فقد طبعتها نبرة عدائية إذ تصور الاسبان كمستعمرين محتلين، وتبرز مقاومة السكان المحليين مثل ثورة الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي، مع تركيز على ما حصل من فظائع ارتكبت خلال فترة الاحتلال. لافتا الى أنه بعد استقلال المغرب تباينت صورة الاسبان في الكتابات المغربية التاريخية الحديثة، مستحضرة ما هناك من سياق سياسي راهن وتطلع بين البلدين. علما أن من هذه الكتابات ما تتوقف على ذكريات مؤلمة عن فترة الاستعمار (حرب الريف، استعمال الجيش الاسباني للغازات السامة..)، وعليه ما هناك من صورة مشاعر ومواقف.

وعن المجال الابيري ونظرة الآخر أيضًا، تناولت **الأستاذة وفاء المصمودي** عن جامعة محمد الخامس بالرباط، **الأنا والآخر من خلال كتاب رحلة الوزير في افتكاك الأسير**. مستحضرة أواخر القرن السابع عشر عندما توجه وفد سفاري مغربي إلى البلاط الاسباني، في ظرفية ارتبطت بتحرير ثغر العرائش من يد الإسبان وبوقوع عدد من الإسبان أسرى في يد السلطان مولاي إسماعيل. بحيث كانت البعثة مغربية بمهمة تباحث مع السلطات الاسبانية في شأن تحرير الأسرى المسلمين مقابل الأسرى المسيحيين، فضلاً عن استعادة محتويات المكتبة الزيدانية المحفوظة في الإسكوريال. وهو ما قام بتدوينه "الغساني" في نص عنونه بـ"رحلة الوزير في افتكاك الأسير"، بقدر ما تحدث فيه عن هدف البعثة بقدر ما سجل من ملاحظات حول طبيعة المجال الاسباني فضلاً عن المجتمع والثقافة والسياسة، ولعل هذا النص الرحلي كان لقاء بين ذهنية اسلامية وفضاء مسيحي، في ظل ظرفية متوترة بين اسبانيا والمغرب. وضمن نفس الإطار وعن مسألة الصورة ناقش **الأستاذ مصطفى المرون** الباحث في التاريخ العسكري، ما تركته **الحملات الاشهارية حول تدخل المجندين المغاربة في الحرب الأهلية الإسبانية**، من بصمة سلبية طبعت المخيال الجماعي للشعب الاسباني، تلك التي تعكس الصورة النمطية لـ "المورو" الشرس وغير المتحضر، والتي تنعت المجندين المغاربة بأقبح النعوت.

أما من الجانب الفرانكوي فنظرته لم تختلف عن الجانب الجمهوري، لكن الصورة الكاريكاتورية لـ "المورو" الصديق التي مررها الكتاب الفاشيستيون، كانت انعكاسًا لتلك التي بلورها الجمهوريون. بحيث أن الاثنين يعطيان صورة موحدة ومنسقة، وكذا متبادلة ودورية من حقل لآخر. هكذا ركزت المداخلة على **صورة الآخر الجمهوري في مخيال المجندين المغاربة من خلال الشهادات الشفوية**، التي لا يزال ينظر الى استعمالها في العالم العربي بنوع من التحفظ، رغم أن الغرب كان سباقًا لاستثمارها بطرق فعالة منذ حوالي نصف قرن. وكان "المغرب بعيون صحفي بريطاني "لاورنس هاريس" رفقة السلطان مولاي عبد الحفيظ ١٩٠٠-١٩٠٨، هو ما تحدث عنه **الأستاذ مصطفى الغاشي** عن جامعة عبد المالك السعدي بتطوان. مستحضرًا ما شهده المغرب مطلع القرن الماضي من أزمات مست كل وضعه الداخلي فضلاً عن علاقاته الخارجية، وهو ما جعله مجالاً مفتوحًا لتسربات اجنبية أبانت عن مدى هشاشته. معرجًا على مغرب ما بعد وفاة السلطان الحسن الأول ١٨٩٤، وما ارتبط بفترة حكم ابنه السلطان عبد العزيز الذي لم يكن مؤهلاً سياسيًا لمواجهة الوضع، وعليه ما تلقاه المغرب من ضربات (رفض ضريبة الترتيب، تمرد بوحمارة على المخزن، مضاعفات الاتفاق الودي الفرنسي البريطاني، مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء)، ثم حدث الاحتلال الفرنسي لمدينتي وجدة والدار البيضاء اطاح بالسلطان عبد العزيز وأوصل أخيه عبد الحفيظ للحكم، وهو ما ركزت

عليه المداخلة معتمدة على ما جاء به الصحفي البريطاني لاورنس هاريس في كتابه : الرحلة "مع السلطان عبد الحفيظ ١٩٠٨ - ١٩٠٩. تلك التي جاءت في إطار مهمة رسمية من قبل الجريدة التي كان يشتغل بها.

وعن جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، وفي مداخلة موسومة بـ"**عبور الحدود وبناء وعي الشتات: الفاسيون في مانشستر**". تناول **الأستاذ سمير بوزويتة** كيف صنع الفاسيون لأنفسهم بالمَهَاجر مكانة ثقافية واجتماعية فضلاً عن وعي، بحيث شكل من هؤلاء ممن استوطن مانشستر حالة متميزة، بانتقالهم من وسط تحكمه عادات وتقاليد معينة إلى ما هو مغاير لِما ألفوه. مشيرًا الى أنهم وجدوا أنفسهم مضطرين للتعايش والاندماج في مجتمعات بمظاهر عدة وجدل حياة آخر، دفعتهم لإعادة ترتيب ما تلقوه من مسلمات عبر عقود. متسائلاً عما طبع بيئتهم السابقة من بساطة، وما هناك من آخَر وحاجة لاجابات. أما **الأستاذ محمد براص** الباحث في التاريخ العسكري، فقد ارتأى مناقشة **المغرب بعيون أجهزة المانيا الاستخباراتية في ظل صراع استراتيجي وفعل ثقافي منذ مطلع القرن الماضي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية**. مستحضرًا سبل ولوج الرعايا الألمان لمنطقة الحماية الفرنسية والمنطقة الدولية بالمغرب، وعزيمة ألمانيا في البحث عن موقع لها به بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨م)، ودخول الألمان مشروع دعاية ألمانية توجهت نحو العرب والمسلمين بشكل عام. ما تعمق أكثر من خلال اقتراحات وتوجيهات "عراب الألمان" الشهير ماكس فون أوبنهايم (Max Von Oppenheim)، التي كانت تروم نشر أطروحة تنبني في بعديْها الإيديولوجي الدعائي، على أن ألمانيا يجب أن تعرف لدى المغاربة وغيرهم بـ "صديقة الاسلام والمسلمين"، من أجل بلوغ اختراق ثقافي وسياسي واقتصادي. وعليه، تم إحداث مؤسسات دعائية ألمانية لهذا الغرض، فضلاً عن تأسيس صحف ومجلات أبرزها مجلة الجهاد. ولعل ما دعمته السياسة الألمانية من صحف إسلامية أسست في برلين، هناك: العهد، الرأي العام، الشرق، الاتحاد العثماني...، وهو ما تناولته المداخلة معتمدة على أرشيف ووثائق تاريخية، مستهدفة فهم سبل بلورة ألمانيا للفعل الثقافي في بعده الهوياتي، خدمة لصراع استراتيجي وضعته أجهزتها في تنافسها مع القوى الدولية التي كان لها اهتمام بالمغرب، خاصة منها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في ظل صراع استخباراتي منذ مطلع القرن الماضي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

المحور الرابع: المجال الأمريكي والدراسات التاريخية

تناول فيه **الأستاذ خليل الـ عداني** عن جامعة محمد الخامس، **إشكالية البناء الغربي للكتابة التاريخية الأمريكية**. مشيرًا الى أن الدخول في مشروع مؤلف في هذا الأفق من وجهة نظر مغربية، يقتضي فكرة عن الأسطوغرافيا الغربية المتعلقة بأمريكا، وأن القراءة المتأنية للنصوص الأمريكية والفرنسية الحديثة تُظهر بعض الانحرافات. لافتًا أنه يكفي تفحص فهارس الدراسات الكرونولوجية وما يلاحظ من بداية بالفترة الاستعمارية، وادراج للفصل المتعلق بالهنود في الأبحاث الموضوعاتية. موضحًا أنه رغم إدخال الدراسات الاسطوغرافية الغربية الحديثة لهؤلاء في دائرة التاريخ، كان عليها البدء بهم كساكنة أصلية في الأبحاث ذات الطابع الكرونولوجي. وأن ما هناك من مقاربة موضوعاتية لم يتم التركيز على مفهوم الحدود بما هو كاف، باعتباره مجال التقاء الأوروبيين بالهنود باتجاه الغرب، مضيفا أن الديمقراطية نشأت بالغرب وليس في غابات الجرمان، وأن مصطلح الحدود المشبع بالنزعة التطورية لا يرى حرجًا في تحقيق هذه الديمقراطية بعيدا عن الفوضى، وغلبة القوي ومن خلال تهجير الهنود باتجاه محميات لدرجة نية القضاء عليهم. كلها أمثلة وغيرها عما هناك من انحرافات في النصوص، من المهم التعامل معها بحذر في أفق كل مشروع كتابة عن الآخر.

وعن الزمن الأمريكي والعلاقات أيضًا، عرضت **الأستاذة خديجة القباقبي** عن جامعة القاضي عياض بمراكش، لأهمية **النص الرحلي** في الكتابة حول الموضوع. مشيرة لما هناك من تقارير دبلوماسية مغربية ونصوص رحلية أمريكية خلال القرن الماضي، ولِما حصل خلال الخمسينيات منه في المغرب بعد استقلاله ضمن حرب باردة بين معسكرين واديولوجيتين، عندما ارتأت (وم أ) اختيار فاعلين مغاربة لزيارتها ومنهم المهدي بن بركة وعبد الكريم غلاب، وهو ما انتهى بنصوص رحلية بقدر رافع للكتابة عن البيني العلائقي. وهو ما قارب فيه **الأستاذ محمد مزيان** عن جامعة ابن طفيل بالقنيطرة ضمن نفس المحور والسياق، **مقتضيات بناء الدولة وتعزيز العلاقات الخارجية زمن الرئيس إيزنهاور** ١٩٥٣ – ١٩٦١، لافتًا الى أن هذا الأخير تعرف عن المجال المغربي منذ الانزال الأمريكي بشواطئه مطلع أربعينيات القرن الماضي، وأن الارشيف الأمريكي هو بوعاء يخص ما طبع هذه الفترة من إجراءات وتقارب، في زمن مغرب ما بعد الاستقلال وتطلعات بناء الدولة، ومن ثمة ما هناك من أسئلة الأنا والآخر في هذه العلاقات. وعن المراكز الثقافية الأمريكية في المغرب المعاصر، ناقشت **الأستاذة حنان هيشامي**،

عن **المندوبية الـ□امية لقدماء المقومين وأعضاء جيش التحرير بالرباط**، البعد الثقافي الأمريكي للتأثير على الشعوب وتشكيل العلاقات فضلاً عن تعزيز صورة أمريكا في الخارج. وعليه، ما كان لهذه المراكز من أدوار جذب وتعزيز لنشر اللغة الإنجليزية، لتسهيل تبادل جميع ما هو ثقافي بين الآخر والأنا حيث الأمريكيين والمغاربة. وعن أمريكا اللاتينية/ الجنوبية في ندوة الآخر والكتابات التاريخية المغربية، عالج **الأستاذ بوشتى الحزيبي** عن جامعة مولاي سليمان ببني ملال، **جوانب البناء الديمقراطي بالمغرب وغواتيمالا من خلال مداخلة مقارنة**، حضرها سؤال صعوبة بناء أنظمة ديمقراطية مستقرة في غالبية دول أمريكا اللاتينية على غرار ما يوجد بأوروبا الغربية. ولعله السؤال نفسه الذي يهم بقية الدول النامية، ومعها رأي من يرجع الوضع لِما ينعت بـ"الحتميات الثقافية"، التي دحضها ما حصل من نجاح ونماذج هنا وهناك بين دول الجنوب.

صورة توضح جانب من فعاليات الندوة

توصيات الندوة

بناءً على ما طبع ندوة الرباط حول "الآخر في الكتابة التاريخية المغربية" من مداخلات علمية، والتي بقدر ما طبعها من رؤى وقراءات فضلاً عن جدل ونقاش معرفي ومنهجي وخلفية مقاربة، بقدر ما انتهت اليه اللجنة العلمية من توصيات رافعة لسبل اغناء الأفق العلائقي البحثي التاريخي بالجامعة المغربية على مستوى سياقاته وتجلياته وقضاياه وموارده وكذا رهاناته ووعاء نصوصه. ولعل من هذه التوصيات أولاً: تثمين وتحفيز الدراسات التاريخية العلائقية من أجل ما ينبغي من هوية مغربية وحفظ لقيم تسامح وحوار وقبول بالآخر، ثانيًا : إيلاء الأرشيف الوطني والأجنبي ما يجب من عناية لمزيد من الآخر في الكتابة التاريخية المغربية، ثالثًا: توسيع وعاء البحث حول زمن المغرب الافريقي، رابعا: دعم ما هناك من تطلعات بحثية جامعية مغربية راهنة استشرافية صوب إسبانيا حيث الجوار الترابي مع الأخذ في الاعتبار ما هناك من مشترك ذاكرة بين البلدين، خامسًا: التأكيد على مواصلة هذا الورش من الأنشطة العلمية مع مد جسور لأقطاب معنية وطنية وأجنبية، سادسًا: تجسيد الآخر في التاريخ والكتابة التاريخية من خلال مواعيد دولية يحضرها الحوار والانفتاح، سابعًا: طبع اعمال الندوة بجعلها نصا علميا في متناول الباحثين والدارسين.